مجلة البحوث الأكاديمية (العلوم الإنسانية) العدد 28 المجلد 2، السنة 2024 "120-134"

حمورابي والتنظيم السياسي للدولة البابلية الأولى (1792 – 1750 ق.م)

د. عبد الحميد أحمد امحمد أبوسلة
كلية التربية، قسم التاريخ، ليبيا
a.abousalla@edu.misuratau.edu.ly

نعمة الأمجد محمد الزريدي
كلية التربية قسم التاريخ، ليبيا
Alnmh183@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2024/11/15
وقبلت بتاريخ 2024/11/30
ونشرت بتاريخ 12/02 2024/

الكلمات المفتاحية:
حمورابي – الحياة السياسية لدولة بابل – المتغيرات السياسية بالقوانين الوضعية – الدولة البابلية – قوانين حمورابي.

الملخص

تعد الدولة البابلية الأولى الذي حكمها حمورابي قرابة (42) عامًا، من أهم الدول في بلاد الرافدين خلال التاريخ العراقي القديم، ونتج ذلك عندما اعتلى حمورابي العرش، وقضى على العيلاميين، وأسس دولة قوية تحتكم إلى قوانين وضعية.
وبذلك أصبحت هذه الدولة قوية باقتصادها، متماسكة بجيشها، متآلفة بشعبها، مذعنة لقوانين ملكها الذي استمد شرعية حكمه من الآلهة المعبودة في بلاد الرافدين إبان حكمه.

1. المقدمة

تعد بلاد الرافدين موطئ قدم الحضارات القديمة، وذلك لوقوعها بين نهري دجلة والفرات، فقد شهد هذان النهران أهمية كبيرة في كونهما المصدر الرئيسي للثروة المائية، مما ساعد على قيام عدة دول من بينها الدولة البابلية الأولى عام (1894 – 1594 ق.م)، تأسست على أنقاض الدولة الأكادية، والتي تميزت بالرخاء والازدهار، خاصة بعد أن تولى عرشها الملك حمورابي الذي يعد من أعظم ملوك هذه الأسرة، فقام بوضع مجموعة من القوانين الصارمة كدستور للبلاد عرفت بقوانين حمورابي، وقد تم اختيار عنوان البحث حمورابي والتنظيم السياسي للدولة البابلية الأولى وذلك للأسباب الآتية:

1. دراسة هذا الجانب المهم من الحياة السياسية في التاريخ القديم وخاصة بلاد الرافدين.
2. التعرف على براعة حمورابي في تنظيم الدولة البابلية الأولى وكيف تم نشأتها.
3. معرفة كيفية وضع القوانين المنظمة للدولة التي سنها حمورابي.

الهدف من دراسة موضوع هذا البحث: معرفة تشريعات حمورابي ومن أين استمدها، والتعرف على أهم القوانين السياسية لحمورابي، ومعرفة التنظيم الداخلي للدولة البابلية الأولى.

والأهمية هذا البحث يجب دارسة الوضع السياسي للدولة البابلية الأولى، ومعرفة القوانين الوضعية التي تحل محل نظام الكهنة ورجال الدين الذي كان سائدًا في الدولة.

وسوف يتبع الباحثان المنهج السردي التاريخي والذي يعتمد على جمع المادة العلمية وتصنيفها، ومن ثم ربط معلوماتها وتحليلها.

وفرضية الدراسة تمثلت في إن كل الدول السياسية في منطقة بلاد الرافدين كانت تحتكم في إدارة سياستها إلى الآلهة وتأخذ شرعيتها منها حتى جاء حمورابي وجسد صورته في مسلة ووضع عليها قوانين الدولة التي تمثلت في تسلمه القوانين من الإله شمس.

وتكمن إشكالية هذا البحث عندما قرر حمورابي تأسيس دولته بوضعه القوانين المنظمة، واجهته عدة مشاكل من قبل رجال الدين الذين يتحكموا في تنصيب الملوك بإيعاز من الآلهة، وبذلك رأى يقلص من نفوذهم ويحد من تحركاتهم السياسية.

تساؤلات البحث:

1. من أين استمد حمورابي تشريعاته؟

2. ما هي أهم القوانين السياسية لحمورابي؟

3. كيف كان التنظيم الداخلي للدولة البابلية الأولى؟

حدود البحث:

الحد الزماني: يبدأ من عام (1792 ق.م) وهو العام الذي تولى حمورابي فيه الحكم إلى عام (1750 ق.م) وهو العام الذي توفي فيه.

الحد المكاني: المنطقة الواقعة في بلاد الرافدين وبالتحديد بلاد بابل.

وقد قسم هذا البحث إلى محورين: الأول التعريف بشخصية حمورابي من حيث حياته ونشأته، وكيفية وصوله للحكم، أما المحور الثاني ستناول من خلاله التنظيم السياسي للدولة البابلية الأولى، مسلطًا الضوء على قوانين حمورابي، والتنظيم الداخلي للدولة.

التمهيد:

يقع وادي الرافدين(*) بين جبال زاجروس(**) والهضبة الإيرانية(***) شرقًا والبادية السورية (بلاد الشام)(****) غربًا وبين جبال كردستان(*****) شمالاً ومياه الخليج العربي(******) جنوبًا (دلو، 1989، 188)، وسميت هذه المنطقة باسم بلاد النهرين عند الإغريق(*******) وسماها المختصون العرب بلاد الرافدين فغدت هذه التسمية اصطلاحا جغرافيا وتاريخيا، والتي تعني كل المناطق المحصورة بين نهري دجلة(********) والفرات(*********) بل ويتعداهما إلى المناطق المتاخمة في الشرق (هبو، 1996، ج2، 14).

وأما مناخ بلاد الرافدين وفقًا لاكتشافات الجيولوجيين لم يحدث أي تغير مناخي منذ زمن طويل جدا فتتراوح درجة حرارة المنطقة صيفًا بين (110 – 130) درجة فهرنهايت وتساوي بالوقت الحالي 43ºم – 54ºم درجة مئوية، وتتميز بوجود ثمانية أشهر غير ممطرة في السنة، وفي نهاية الفصل الجاف تتعرج الأنهار في أرض طينية قفرة، ثم يحل الشتاء وتحدث عواصف مطرية متقطعة، ولكن الأنهار لا تتلقى الكميات الكاملة حتى حلول فصل الربيع عندما تذوب الثلوج في جبال طوروس(*) وزاجروس فتتغذى الروافد بالمياه، ثم تأتي فيضانات الربيع التي كانت تعتبر حتى قبل ربع قرن ظاهرة لا يمكن ضبطها وتمثل خطر على السكان (لويد، 1993، 21)، ويوجد في بلاد الرافدين نهري دجلة والفرات اللذان يعتبران شريان الحياة الرئيسي في هذه المنطقة، لذا فقد أدرك الإنسان العراقي القديم أهمية النهرين بالنسبة له فقام بعبادتهما وعدهما من جملة الآلهة المشتقة من القوى الطبيعية (سليم، 1998، ج5، 23، 24).

(*) وادي الرافدين: أو بلاد ما بين النهرين وهي العراق حاليًا، تقع بين بادية الشام ومرتفعات إيران، وهي منخفض صحراوي يعبره نهر دجلة والفرات. (بوفرحات، 1999م، 27).

(**) جبال زاجروس: تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وطولها نحو 998 كم وعرضها حوالي 193كم، ويتراوح ارتفاعها بين 3280 و5570 قدمًا، وهي تتألف من جملة سلاسل متوازنة تخترقها أودية تتراوح في أطوالها حوالي 96.5كم. (باقر، 2011، ج2، 417).

(***) الهضبة الإيرانية: تبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاع لها في الجنوب وتقل كلما أتجهنا شمالاً ويحدها من الشمال جبال الخرز وأما الناحية الجنوبية الخليج وبحر عمان، وتعد الهضب الإيرانية جسرًا يربط بين الطريق الوحيد الذي يربط أجزاء آسيا مع بعضها البعض. (بدير، عبد الحميد، د.ت، 323 – 325).

(****) بادية الشام: هضبة كلسية واسعة تحدها جنوبًا جبال مديان، وغربًا غور الأردن جبل الدروز والجبل الشرقي، وشمالاً جبال طوروس. (عبودي، 1991م، 525).

(*****) جبال كردستان: وهي منطقة تكثر فيها الجبال الالتوائية الحديثة والهضاب، ومن أهم جبالها طوروس وزاجروس، كذلك يوجد بها جبال ماكو، سيبان، نمرود، بيخير، سفين، همرين، بازيان، هرير، كُرمينج. (جزيري، 2017، ع 345، 66).

(******) الخليج العربي: يقع الخليج العربي جغرافيا بين شبه الجزيرة العربية غربًا، وإيران شرقًا، ومضيق هرمز وخليج عمان جنوبًا والعراق شمالاً، والخليج العربي حوض ضحل نسبيا، يمتد مسافة تقرب من (1300) كم من شط العرب في الشمال حتى رأس مسندم في الجنوب ويتراوح اتساعه بين (47) كم عند مضيق هرمز. (شاكر، 2005، 6).

(*******) الإغريق: تعرف بلاد اليونان في اللغة اليونانية القديمة والمعاصرة باسم هيللاس وهي تشمل شبه جزيرة البلقان والجزر المنتشرة في بحر ايجه، وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل آسيا الصغرى، وأطلق الإغريق على أنفسهم لفظ الهيلين ومنه اشتق العرب لفظ الإغريق. (الناصري، د.ت، 8 – 12).

(********) دجلة: يعد نهر دلجة من أهم الأنهار في الجنوب الغربي من قارة آسيا، ويبلغ طوله حوالي (1900) كم، وينبع دجلة من منطقة جبلية في شرقي تركيا ويتدفق إلى الجنوب الشرقي حتى الحدود بين تركيا وسوريا ويجري إلى العراق ثم يتعرج حتى يلتقي مع نهر الفرات عند مدينة فرنه بالعراق ليكونا معا شط العرب الذي يصب في الخليج العربي. (أحمد، عثمان، د.ت، ج2، 15).

(*********) الفرات: يعد نهر الفرات أطول نهر في جنوب غربي آسيا إذ يبلغ طوله 2.736 كم، وهو يمثل جزءًا من التكوين التاريخي لنهري دجلة والفرات، وينبع من منطقة جبلية في شرق تركيا ويجري خلال البلاد إلى سوريا ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي عند مدينة ألبو كمال، ويتجه الفرات إلى العراق. (أحمد، عثمان، د.ت، ج2، 21).

(*) جبال طوروس: وهي سلسلة جبال تفصل الهضاب الأناضولية والأرمية عن البحر الأبيض المتوسط وبلاد ما بين النهرين. (عبودي، 1991م، 566).

وقد أفردوا الفرات بتقديس أكثر لأنه كان النهر الذي تركزت على ضفافه المستوطنات القديمة، ونعت النهران أيضا في بعض التراتيل الدينية بالنهرين الأخوين أي الرافدين (باقر، 2012م، ج1، 54، 55)، وفي أساطير الخليقة ذكر الفرات ودجلة من الأنهر الأربعة التي تنبع من الجنة (سفر التكوين، ج2، 10 – 14)، وقد روي أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيحان(**) وجيحان(***)، والفرات والنيل(****)، كل من أنهار الجنة" (النيسابوري، د.ت، ج1، 2173).

وقد ذكر لفظ الفرات في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[1] ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِے مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا[2]﴾، ﴿وَمَا يَسْتَوِے ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

ويلاحظ أن كلمة فرات ذات أصل سومري وردت في النصوص البابلية تحت اسم (بورتم) أو (بوارتي) أما دجلة فقد وردت في النصوص القديمة تحت اسم (أدقلات) أو (أدجلات) التي قد تفيد معنى الجاري أو الراوي، ويتميز نهر الفرات بانه أطول من نهر دجلة وأكثر تعرجا، وهو يمتاز عنه باتســـاع واديه وعمقه، أما دجلة فإنه يتميز من ناحية أخرى بكثرة روافده التي تنبع من هضـبة إيران وهو بذلك يتلقى إمدادات كثيرة، ولعل من أهم هذه الروافد نهر الزاب الأعلى(*****) الذي يصـــب في دجلة على بعد أربعين ميلاً جنوبي نينوى(******) بالقرب من نمرود(*******) **ثم** الزاب الأســـفل(********) إلى الجنوب من ذلك بحوالي ثمانين ميلا، ومن الروافد كذلك نهر (ديالا)(*****) والذي أطلق عليه البابليون(******) التســـمية "ترناه" (سليم، 1998، ج5، 23، 24)، ويتصل بالفرات في مجراه الأعلى في سـهول سورية رافدان مهمان هما البالخ(*) أو البليخ والخابور(**) اللذان يصبان في الجانب الأيسر أي الجانب الشرقي.

وأما المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين فهي تمتاز بكثرة عدد الآلهة، فقد وجدت نصوص لاهوتيه(***) تتضمن قوائم بأعداد الآلهة في حدود 2000 إلى 3000 سم، فقد وصفت آلهة وادي الرافدين في مجموعات ثلاثية متباينة القوة والمكانة والأهمية ومركز العبادة، فبعضها قليل الأهمية تقع أسفل السلم بحيث لم يخصص لها أكثر من مزار أو مصلى صغير، وهناك

(**) سيحان: ينبع نهر سيحان من مرتفعات هضبة أرمينية الصغرى، وهو أقل حجمًا من نهر جيحان، ويمر نهر سيحان في مجراه إلى الجنوب ليس بعيدًا من مدينة سيس، التي تقع إلى الشرق من مجراه، ثم يمر بمدينة أذنه، إذ يحف بها من جهة الشرق، وتعد أذنه أهم المدن الواقعة على هذا النهر، وكان سيحان يلتقي نهر جيحان تحت أذنه والمصيصة فيصيران نهرا واحد ليصب في البحر المتوسط، اما اليوم فإن سيحان غير مجراه، بعد مدينة المصيصة ليتجه نحو الجنوب الغربي حيث يصب في البحر المتوسط. (الجنابي، 2013م، 59).

(***) جيحان: وهو الاسم العربي لهذا النهر الذي ينبع من جبال طوروس في مكان غير بعيد من منطقة البستان، وسرعان ما تتصل به عدة روافد، ويلتقي نهران من جهة الشرق بالقرب من مرعش ويخترق سهول فليتقيه مارا بمدينة المصيصة ليصب في البحر المتوسط، وقد غير النهر مجراه عند مصبه خلال الأزمان الماضية. (الجنابي، 2013م، 59).

(****) النيل: يعد نهر النيل أطول نهر في العالم، إذ يبلغ طوله 6.671 كم، ينبع نهر النيل بالقرب خط الاستواء ويتدفق في الاتجاه الشمالي الشرقي للقارة الأفريقية حتى يصب في البحر الأبيض المتوسط مرورًا بمصر. (أحمد، عثمان، د.ت، ج2، 28).

[1] سورة المرسلات، الآية: "27".

[2] سورة الفرقان، الآية: "53".

[3] سورة فاطر، الآية: "12"

(*****) نهر الزاب الأعلى: ويسمى كذلك الزاب الكبير، وتسمية الزاب الأعلى اسم هذا النهر الواردة في المصادر المسمارية أي "زابوايلو" والزاب الأعلى أطول روافد دجلة، إذا يبلغ طوله زهاء (650) كم وتقع منابعه في منطقة جبال حيكاري في تركية، وللزاب الأعلى جملة من روافد أشهرها نهر (رواند وز) و(رايات) و(خليفان) و(ديانا). (باقر، 2012م، ج1، 69).

(******) نينوى: مدينة مشهورة في العراق القديم، كانت عاصمة المملكة الأشورية، (زكي بك، 1899م، 80).

(*******) نمرود: وهي ثاني العواصم الأشورية بعد أشور، تقع أطلالها على مسافة (37) كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل التي تحتضن حدودها الآن العاصمتين الأشوريتين الأخريين نينوى وخرس باد (دور – شركين). (حسين، سليمان، 2000م، 19).

(********) الزاب الأسفل: ويسمى أيضًا بالزاب الصغير، واسمه في المصادر المسمارية مثل الصيغة العربية الزاب الأسفل أي "زابو شيالو" وتقع منابعه في جبال كردستان في القسم الإيراني منها، ويبلغ طوله زهاء (520) كم. (باقر، 2012م، ج1، 70).

(*****) ديالا: وهو من اهم وأطول روافد دجلة، ويبلغ طوله زها (450) كم، وتقع منابعه في الجبال والمرتفعات الإيرانية، وتغديه فروع وروافد كثيرة أشهرها رافدان كبيران هما نهر "سيروان" والثاني "تانجرو"، كما تصب فيه فروع أخرى منها "قوراتو" و"الونط" الذي تقع عليه بلدة خانقين وفرع نارين الذي يصب في ديالا عند قرية السعدية. (باقر، 2012م، ج1، 71).

(******) البابليون: وهم من القبائل العربية الأمورية القديمة، سميت إمبراطورتيهم "البابلية" نسبة على عاصمتهم باب آبل، أي باب الآله وأشهر ملوكهم حمورابي الذي توسع في عيلام، واستولى على ماري. (أبوخليل، 2003م، 82).

(*) البالخ: واسمه القديم بليخو، والذي كان يروي إقليم أوديسا (الرها) وحران، ويلتقي بالفرات أسفل الرقة بقليل. (دلو، 1989، 192)،

(**) الخابور: ينبع الخابور من المنطقة الجبلية في تركية، وهو أقصر روافد دجلة، لا يتجاوز طوله (245) كم، وتصب فيه جملة نجار أهمها نهر الهيزل الذي يلتقي به بالقرب من بلدة زاخو، ويلتقي الخابور بدجلة في الحدود العراقية التركية عند بلدة فيش خابور. (باقر، 2012م، ج1، 69).

(***) لاهوتيه: هو علم يبحث عن الله وصفاته وشرائعه وأعمال عنايته، والتعاليم التي يجب أن نعتقدها، والأعمال التي يجب أن نقوم بها ويبحث عن حقائق الكتاب المقدس، فغاية علم اللاهوت هي تنظيم حقائق الكتاب المقدس ومعرفة أصوله والتعاليم المتفرعة منه فهو يظهر تعاليم الكتاب المقدس بنظامها وعلاقاتها الداخلية الروحية، كما أنه من توابع الديانة ولوازمها. (أنس، د.ت، 16 –20).

آلهة اقتصرت عبادتها على المدينة – الدولة ذاتها مثل (الآله الحامي) وأشهرها (مردوخ) إله بلاد بابل، و(أشور) إله بلاد أشور، وتحولت قلة منها بسبب طبيعتها إلى معبودات بشرية مثل (سين) إله القمر، و(شمش) إله الشمس، وعشتار (انانا) إله الحب والحرب، و(ايريشكيكال) ملكة العالم الأسفل عالم الموت إضافة إلى ذلك الآلهة الثلاثة الذكور الكبار على رأس الآلهة جميعًا وهو (انو) إله السماء و(انليل) إله الجو و(إنكي) أيا إله الأرض ومياه العمق. (رشيد، 2004م، 86 – 88).

وقد انتشرت الحضارات في بلاد النهرين من الجنوب إلى الشمال ووصلت إلى مستوى متقدم، في الفرات عنها في دجلة وتوزع السكان في الدلتا إلى قسمين الساميون(****) والذين أقاموا في إقليم أكاد(*****) والذي كان يمتد من أكاد إلى كيش(******) والسومريون الذين استوطنوا المنطقة بين نيبور(*******) والبحر، لذلك فإنه يمكن تقسيم سطح بلاد الرافدين إلى قسمين شمالي وجنوبي (سليم، 1998، ج5، 27)، وقد قامت في بلاد الرافدين سلالة ثالثة جديدة في بابل حينما كانت سلالة (ايسن)(********) وسلالة (لارسا)(*********) تتنازعان على السلطة بعد تأسيسهما بزمن قصير، والتي عرفت بسلالة بابل الأولى واشتهرت بملكها السادس (حمورابي).

كانت سلالة بابل الأولى (ايسن) من أصل سامي غربي أي من الأموريين (**********) الذين كانوا في جهات سورية في الفرات الأوسط، وكانت الأحوال مواتية لقيام هذه السلالة إذ لم تكن في البلاد سلطة مركزية قوية بل كانت مجزأة بين دويلات المدن، وقد اتخذ مؤسس هذه السلالة (سومو – أبوم)(*) مدينة بابل عاصمة له، وكانت بابل من المدن الصغيرة التي نشأت أواخر عصر فجر السلالات إذ لم يكن بها بأدي أمرها شيء من النفوذ والسلطة السياسية، وقد ورد ذكرها في أخبار بعض الملوك الأكديين وملوك سلالة أور الثالثة(**). (باقر، 1955، ق 1، 144، 145).

ومنذ قيام سلالة بابل الأولى فيها صارت ذات شأن عظيم في تاريخ البلاد حتى أن اسمها أطلق على أغلب سكان بلاد الرافدين (البابليين) وكذلك صارت كلمة بلاد بابل تطلق على القسم الأوسط والجنوبي من بلاد الرافدين وصارت عاصمة البلاد الوحيدة حتى نهاية حياة البابليين السياسية، وأصبحت سلطة هذه السلالة في أول أمرها محصورة في عاصمتها بابل وما يجاورها من الأراضي والقرى والمدن الصغيرة، وقد شغل خمسة الملوك الأول من هذه السلالة أنفسهم في توسيع المدينة وإحكام أبنيتها وأسوارها، وكانوا ينتهزون الفرص على الدوام لضم المدن المجاورة إلى بابل وكذلك دويلات المدن القريبة مثل "كيش" و"سبار"(***) (أبوحبة)(****) "كوثى"(*****) (تل إبراهيم الآن) و"نفر"(******)، وغيرها (باقر، 1955م، ق1،

(****) الساميون: ترجع لفظ السامية إلى النمساوي الشهير اليهودي المتعصب (شلوزر) وهو أول من دعا إلى السامية عام (1807م) حيث قسم العالم إلى ثلاثة أقسام سامية حامية وآريين، وسبب ذلك عندما عم الطوفان زمن نوح عليه السلام انتهى كل من على الأرض وبقي ذرية هؤلاء (سام – حام – يافث) وهم أبناءه، وهذا التقسيم تفوح من داخله مؤامرات اليهود إذ يروا أنهم أفضل البشر ويرجع نسبهم إلى الابن المفضل لنوح عليه السلام وهو (سام). (سليمان، 1982، ج1، 10).

(*****) أكاد: منطقة في وسط بلاد ما بين النهرين مجاورة لبلاد سومر، وقد أصبحت هذه الأخيرة تابعة لها، اعتبارًا من حكم سرجون الأكادي. (عبودي، 1991م، 115).

(******) كيش: مجموعة تلال شرقي بابل. (عبودي، 1991م، 731).

(*******) نيبور: مدينة في بلاد ما بين النهرين تقع على ضفتي أحد المجاري القديمة لنهر الفرات، شمالي بلاد سومر بالقرب من كيش وبابل واسمها الحالي نفر. (عبودي، 1991م، 867).

(********) ايسن: أسس الأموريون هذه السرة في ايسين، كبرى عواصم الأموريين وهي الآن ايشان بحريات، جنوب عفك الحالية على معبدة (30) كم جنوب نيبور (نفر). (مهران، 1990م، ج 10، 193).

(*********) ايسن: أسس الأموريون هذه السرة في ايسين، كبرى عواصم الأموريين وهي الآن ايشان بحريات، جنوب عفك الحالية على معبدة (30) كم جنوب نيبور (نفر). (مهران، 1990م، ج 10، 193).

(**********) الأموريين: يعد الأموريين من أكبر الهجرات قديمًا التي نزحت من مهدها في شبه الجزيرة العربية متوجهة نحو بلاد الشام ومنها إلى العراق، وقد ساهم السومريون مارتو وهي تعني بلاد الغرب إشارة إلى مناطق سكانهم أي سكن القبائل الأمورية بينما أطلق عليهم الأكاديون اسم أمورو التي تعني أرض مستقر الشمس أي مغيبها وهي الجهة الغربية من بلاد الرافدين. (توفيق، 2014، ع 1، 196، 197).

(*) سومو – أبوم: وهو مؤسس الدولة البابلية الأولى (1894 – 1881 ق.م) وكان ذلك في الفترة التي ظهرت خلالها دولتي ايسن ولارسا وقد حكم سومو – أبوم عرش بابل لمدة تقارب خمسة عشر عامًا. (سليم، 1998، ج5، 236).

(**) سلالة أور الثالثة: تعد أسرة أور الثالثة آخر مرحلة للسومريين كحكام إذ انتهى نفوذهم السياسي بنهاية هذه الأسرة، إذ اندمجوا بعد ذلك مع الساميين ولكن ظل تأثيرهم الحضاري مستمرًا وتمثل ذلك في لغتهم وأذابهم التي ظلت تؤثر في حياة العراق القديم، بل أن الدين نفسه كان نواة للديانات التي برزت فيما بعد وحكم خلال هذه الأسرة خمسة ملوك. (سليم، 1998، ج5، 221، 222).

(***) سبار: تقع على نحو عشرين ميلاً من بغداد، وتدل الأخبار التاريخية لعهد السومريون أن سبار إحدى المدن الأربعة التي انشئت قبل الطوفان، وقد كانت سبار مدينة ذات شان في عهد السومريين كله، وفي عهد بابل كذلك ولا سيما في اواخر عصور تلك المملكة غير أنها لم تتخذ مقرًا للسلالة الحاكمة. (مكاي، 1952م، 28).

(****) أبو حبة: الاسم الحالي لمدينة سبار الأكادية. (عبودي، 1991م، 41).

(*****) كوثى: هي كوثى المذكورة في التوراة: (سفر الملوك الثاني، 30، 17: 40)، وتقع على نحو ثمانية عشر ميلا بالسيارة، أما من المسيب وأما من الكيش، وتدل النقول التاريخية على أن كوثى قديمة جدا وكانت موضع احترام في كل عهودها لأنها كانت مركزًا للتلقين الديني كما كانت (نفر) و(أريدو) غير أن كوثى لم تحز مركزًا عاليًا في السياسة. (مكاي، 1952م، ص 30).

(******) نفر: الاسم الحالي لمدينة نيبور في بلاد ما بين النهرين. (عبودي، 1991م، 853).

144، 145)، وتقع بابل على الفرات على مبعدة (90) كيلو متر جنوبي بغداد(*******) عند أسفل ملتقى النهرين على ضفة الفرات الشرقي والذي تتخلله شبكة من القنوات وكانت بابل بهذا الموقع بعيدة عن الهجمات المفاجئة من قبل الصحراء (سليم، 1998، ج5، 144، 145).

وقد اشتهرت بابل على يد أحد أولئك الملوك الذي يدعى (شار – كالي – شاري) وهو أخر الملوك الكبار في السلالة الأكادية نحو (2217 – 2193 ق.م)، والذي يعد من وضع أسس معبد الآلهة انونيت (عشتار أكاد) ومعبد الإله (أمال في بابل)، وقد كتب اسم بابل بطريقة الرموز، وهو يقرأ باللغة السومرية: كادينجر (راكي) وهو اسم ترجمه الساميون باب – ايلي بالعبرية (بابل – ايل) والذي يعني (باب الله) فقد كانت بابل ذات مدينة دينية (روتن، 1984م، 28)، وأما عن معنى اسم (بابل) في التوراة، فيقدمه لنا سفر التكوين في قصة أسطورية تقول: "إن الله تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا قد رأى سلالة الناجين من الطوفان يبنون برجًا بغية الوصول إليه في علياء سمائه، وكانوا يحسبون السماء أشبه بلوح زجاجي يعلو على الأرض بضع مئات من الأمتار فخشى شرهم واحتاط لنفسه، فهبط الأرض وبلبل ألسنتهم فتفرقوا شذر مذر، ومن ثم فقد كفوا عن بنيان المدينة، لذلك دعي اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض" (مهران، 1990م، ج 10، 215، 216).

السؤال هنا كم كان عدد الذين نجوا من الطوفان؟

للإجابة على هذا السؤال ذكر ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء إن عدد الذين نجو من الطوفان بلغ عددهم (80) رجلاً ومعهم أهلوهم (ابن كثير، 1988، 6)، وكما وردت إشارات عديدة في القرآن الكريم تشير إلى أن هناك بشر ركبوا السفينة مع نوح عليه السلام، فقد ورد في سورة هود إشارة واضحة إلى أن الذين ركبوا السفينة مع نوح عليه السلام ليس أبناؤه الثلاثة وزوجاتهم فقط، بل أيضا عدد قليل من الذين ءامنوا (عيسى، 2012م، 213، 214)، ﴿حَتَّى إِذَا جَا أَمْرُنَا وَفَارَ اَلتَّنُّورُ قُلْنَا اَحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ اِلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [1]، وفي نفس السورة نجد إشارة إلى الأمم الذين كانوا في السفينة بالإضافة إلى نوح وأبنائه: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ اُهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1]، وبناء عليه فإن الذين ركبوا السفينة، ونجوا من الطوفان ليس نوح وأهله فقط بل أيضًا المؤمنون الصادقون (عيسى، 2012م، 214).

ولعلنا نتساءل هنا كيف لسلالة الناجين من الطوفان الذين ءامنوا برسالة نوح عليه السلام أن يرتكبوا هذا الجرم الشنيع؟ أن الطوفان الذي حدث زمن نوح عليه السلام، كان نتيجة لطغيان البشر على الأرض فهو عقوبة إلهية للذين كفروا برسالة نبي الله نوح عليه السلام.

وأما فيما يخص الديانة في بابل فقد اتصفت ديانة البابليين بكثرة آلهتهم حتى شريعة حمورابي(*) استهلت بأسماء الثالوث الأكبر للآلهة البابلية المؤلفة من انووبل ومردوخ(**) وكان عندهم ثالوث ثان مؤلف من سين إله القمر وهو الابن الأكبر للإله انليل وشمس إله الشمس وهو القاضي الأعظم، إله العدالة والحق والنور، وعشتار وهي نجم الزهرة، ابنة آنو، وأحيانًا ابنة سين، وهي ألهة الحب والحرب والخصب، وتدل عبادة عشتار على المكانة السامية التي كانت للمرأة والأمومة في بابل (أبوخليل، 2003م،86، 87).

وقد تولى عرش بابل عددا من الملوك وهم (سومو – ابوم – 1894 – 1881 ق.م) مؤسس البابلية الأولى، والذي كان يحكم في بادئ الأمر رقعة صغيرة في جنوب بلاد الرافدين، ثم سر عان ما بدأ في توحيد نفوذه بين أمراء المدن الجنوبية، حتى أعلن نفسه ملكًا على بابل بعد أن بسط نفوذه على سومر(***) وأكاد، ثم تولى الحكم من بعده سمولا ايل (1880 – 1845 ق.م) وهو الملك الثاني في الأسرة، ولم يكن ابنا سلفه، وهو يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الدولة البابلية،

(*******) بغداد: العراق فتحت زمن عمر بن الخطاب حوالي 16 هـ، ومن تلك الفترة دخلت العراق تحت حكم الإسلام، إلا أن المدينة بغداد المدينة المدورة أقامها الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور (145هـ)، حيث أجمع المهندسين والبنائين لبنائها. (اليعقوبي البغدادي، 2002م، 261).

[1] سورة هود، الآية: "40".

[1] سورة هود، الآية: "84".

(*) حمورابي: (بالكادية تلفظ أمو رابي وتعني المعتلى) حكم بابل بين عامي 1786 – 1686 ق.م، وهو سادس ملوك بابل وأول ملوك الإمبراطورية البابلية، وكان ذو شخصية عسكرية لها القدرة الإدارية والتنظمية وأشهر أعماله أقدم وأشمل القوانين في بلاد الرافدين. (الحيني، 2015م، 16).

(**) مردوخ: كان الإله مردوخ إلهًا محليًا في مدينة بابل، إلى أن رفعه حمورابي إلى المرتبة الأولى وأصبح إله مدينة بابل الرئيسي، ومعنى اسمه في البابلية (مار – دوكو) بمعنى ابن الإله (دوكو) أي التل المقدس ولاذي يعتبر مجلس الآلهة. (سليم، 1998، ج5، 422).

(***) سومر: منطقة في بلاد ما بين النهرين السفلي بالقرب من الخليج العربي. (عبودي، 1991م، 513).

وجاء من بعده (سابيوم 1844 – 793 ق.م)(****) (ابل سن)(*****) ثم خلفه ابنه (سن موباليط 1812 – 1793 ق.م)(******) ثم تولى الحكم من بعده حمورابي (مهران، 1990م، ج 10، 218 - 220).

وقد حدث قبل أن يصل حمورابي إلى الحكم أن العلاميين(*******) أنفسهم قضوا على آخر ملك في سلالة (لارسا) ونصب الملك العيلامي الذي أنجز هذا الأمر ابنه (ورد – سين)(********) ملكا على لارسا، وأعقبه على العرش أخوه (ريم سين)(*********) وقد بدأت بابل في عهد هذا الملك بإعداد العدة للقضاء على العلاميين وذلك في عهد والد حمورابي المسمى (سين موباليط) وعندما استلم حمورابي عرش بابل بعد والده، ورث مع العرش دولة هشة حيث كانت البلاد مقسمة بين سلالات متنازعة من جهة، والعلاميين الذين يهددون المملكة البابلية الفتية بالقضاء عليها من جهة أخرى، والذين كانوا يقضون على حياة المملكة البابلية وهي لم تكتمل في نموها السياسي بعد، ولكن حمورابي جمع في شخصه خصالاً فذة جعلت منه القائد والسياسي والمصلح والمشرع فتمكن من أن يخلص المملكة من أعدائها العلاميين ثم وحد البلاد بعد أن قضى على السلالات الأخرى مثل مملكة أشنونا(*) ومد فتوحاته شمالاً وجنوبًا وإلى جهات الهلال الخصيب(**) الأخرى ولا سيما ديار الشام معيدًا بذلك إمبراطورية سرجون الأكدى(***) وإمبراطورية سلالة أور الثالثة. (باقر، 1955، ق 1، 145، 146).

المحور الأول: حمورابي ونشأة الدولة:

- **اسمه ونشأته:**

ولد حمورابي في بابل حوالي سنة (1810 ق.م)، وقد تولى عرش بابل في اوائل الألف الثانية قبل الميلاد (كاظم، د.ت، ع 84، 1145)، ويعد حمورابي سادس ملوك بابل وأول ملوك الإمبراطورية البابلية فقد ورث الحكم من أبيه سين موباليط (الحسيني، 2015م، 16)، ويرى البعض أن حمورابي اسم أكادي يعني أن (الرب امو عظيم) وهناك ستة ملوك في الأسرة البابلية الأولى حملوا هذا الاسم، كما حمله ملوك حلب(****) وملوك الكرد(*****) في أوائل الألف الثانية ق.م، وأيضا اسم (حمو – رابي) فحمو إله الحرارة ورابي عظيم، فتكون ترجمته (الإله العظيم) هو (الإله حمو أوعمو) وهناك من يرجح أن حمورابي هو نفسه أمرافيل(******) المذكور في سفر التكوين (9:1:14) بصيغة "أمرافيل، ملك شنعار" (كاظم، د.ت، ع

(****) سابيوم: من أعماله قيام حملة واحدة ضد (كازللو) دمر فيها أسوارها، ولكنه تابع أسلافه في رعاية المعبودات، فضلاً في اهتمام ببناء المعابد، وتدعم الحصون وشق القنوات. (مهران، 1990م، ج 10، 219).

(*****) أبل سن: تولى الحكم سابيوم ومن أعماله رمم أسوار بابل، وشيد بها المعابد، وحفر القنوات، كما قدم عرشا فاخرا للمعبود (شمش) وقد حكم ثماني عشر سنة (1830 – 1813 ق.م). (مهران، 1990م، ج 10، 219).

(******) سن موباليط: خلف والده أبل سن ومن أعماله حارب أور ولارسا، كما استولى على ايسن. (مهران، 1990م، ج 10، 219).

(*******) العلاميين: سمي العيلاميون أنفسهم (حاورتي) أو (حافرتي) وله قراءة أخرى هي (خاتمتي) التي ربما تفيد معنى (أرض الإله) وأما النصوص الفارسية المتأخرة فعرفت الإقليم (هوفاجا) ومنه الكلمة العربية (خور) و(خويرة) وهو إقليم (خوزستان) وأما اليونان فسموه باسم عاصمتهم (السوس) وأطلقوا عليه اسم (سوسيانة) كما ورد جزء منهم من بلاد عيلام باسم (أشنان) و(انزان) وبلغ من الشهرة هذا الإقليم أن عرفت به جميع بلاد عيلام. (سليم، 1998، ج5، 422).

(********) ورد سين: ملك لارسا (1834 – 1823 ق.م) ابن زعيم عموري قدم من عيلام. (عبودي، 1991م، 899).

(*********) ريم سين: أخر ملوك لارسا (1822 – 1763 ق.م) انتصر على أخر ملوك ايسن واستولى على أرضه، وانتصر عليه من ثم الملك حمورابي. (عبودي، 1991م، 436).

(*) أشنونا: مدينة في وادي ديالا (بلاد ما بين الرافدين) أطلالها في موقع تل أسمر. (عبودي، 1991م، 88).

(**) الهلال الخصيب: يقع إقليم الهلال الخصيب بموقعه الجغرافي المتميز في الجزء الشمالي من العالم العربي الآسيوي، ويشمل العراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين، ويمثل هذا الإقليم برزخا يابسًا، يفصل بين مياه كل من الخليج في الشرق والبحر المتوسط في الغرب، ويمتاز بنوع من الخصب يجعله واحة خضراء متصلة، بعد جدب الصحاري الممتدة إلى الجنوب وإلى الشمال منه في الجزيرة العربية وبادية الشام على التوالي، ويمكن القول إن نطاق الخصوبة يتخذ شكل الهلال يحيط ببادية الشام، بحيث يشمل سهل العراق وأراضي الجزيرة في العراق وسورية والأجزاء الشمالية والغربية من سورية والأردن، وجميع أجزاء لبنان، ومعظم أجزاء فلسطين، ويتوفر لهذه المساحة من الأرض كمية من الأمطار الشتوية تتراوح ما بين (100) ملم عند حافة الصحراء و (1000) ملم على المرتفعات الجبلية في سورية ولبنان. (صالح، د.ت، مج 4، 15).

(***) سرجون الأكدى: يعرف كذلك اسم شاروكين، ملك فاتح (2334 – 2279 ق.م) مؤسس السلالة الأكدية. (عبودي، 1991م، 470).

(****) حلب: تقع مدينة حلب في أقصى الشمال الغربي في الهضبة الواقعة في سورية الشمالية عند خط الطول 5، 68 – 38º شرقًا وخط العرض 12 – 40º شمالاً، وترتفع عن سطح البحر بحوالي (390م). (شعيب، 1996م، 12).

(*****) الكرد: يعيش الأكراد في الوقت الحاضر على أرض واسعة من مدينة مندلي "في شرق بغداد" حتى آرارات وتنتهي حدودهم الشمالية في تركيا بمحاذاة أرضروم، وفي الجنوب يسيطر الأكراد على مناطق واسعة إلى نهاية سهول ما بين النهرين، وفي الغرب حدودهم الفرات فلم يقفوا عند هذا الحد وإنما أخذوا يزحفون إلى أعماق آسيا الصغرى، وأنهم لا يشغلون المناطق الجنوبية الشرقية من سيواس فقط وإنما هناك جماعات متفرقة منهم حتى نواحي قونية في كيليكيا، وبهذه الصورة يصلون إلى البحر الأبيض المتوسط. (عبودي، 1991م، 54، 55).

(******) أمرافيل: ملك شنغار، جاء في كتاب العهد القديم أنه اشترك في غزوة كبيرة أيام إبراهيم الخليل استهدفت سدوم وعمورة (التكوين: 14). (عبودي، 1991م، 125).

84، 1145)، باعتباره واحدا من الملوك الأربعة الذين حاربوا إبراهيم عليه السلام[*******] ، وقد دحضت الاكتشافات اللاحقة كل هذين الافتراضين: فتحديد أمرافيل تاريخيًا مستحيل، والمتشابهات بين القوانين الموسوية وغيرها إنما توجد لأنها تشرع لمشكلات متشابهة (ساكز، 2009م، 153)، وأقول أن أمرافيل ليس حمورابي لاختلاف الزمنين واختلاف المسمى في جذوره.

كذلك يعني اسم "حمورابي": الإله حمو عظيم أو مكثر، و"حمو" من أرباب الساميين الغربيين، وقد يكون اسمه "عمورابي" وهناك من يرجح أن اسمه يقرأ في البابلية (خمر نج) أي (خم + نج) فالجزء الأول من الاسم (خم) هو الإله (عم) الذي نجده أيضًا في النقوش العربية الجنوبية القديمة، أما الجزء الثاني (رنج)، فاعله يقابل في العربية مادة (رفع)، فيكون معنى الاسم (عم رفيع) أو مادة (رفع) التي تدل على السعة والخصب (مهران، 1990م، ج 10، 220، 221)، وأما فيما يخص شخصية حمورابي فقد كانت تجمع بين صفات القائد العسكري الماهر، والسياسي المحنك، والملك العادل، والمشرع المصلح والحازم، وهذا ما ساعده على اعتلاء عرش بابل (إسماعيل، 1997م، 38).

- **وصوله للحكم:**

بعد وفاة الملك البابلي سين – موباليط تولى ابنه حمورابي الحكم من بعده، وكان شابًا صغيرا، فقد دام حكمه (42) عامًا، وعندما اعتلى حمورابي العرش كانت مملكة بابل صغيرة نسبيا لا يتجاوز طولها (129) كم وعرضها (32) كم وكانت تمتد من سيبار إلى ماراد "أي من الفلوجة إلى الديوانية حاليًا" (إسماعيل، 1997م،38، 39)، وكانت دولة بابل التي ورثها حمورابي غير محكمة النسيج فقد كانت عرضه للتقلص من جميع الجهات واللهجات من كل صوب، فهناك العلاميين الذين يهددونها من الشرق (مهران، 1990م، ج 10، 231)، إضافة إلى دولة لارسا التي تتحكم في الأجزاء التي تقع جنوب بابل بعد أن أخضع ملكها (ريم –سين) مملكة ايسن لسلطته، كما كانت مملكة أسنونا التي تحكم المنطقة في شمال بابل مباشرة، بينما كانت مملكة أشور[*] تتحكم في الأجزاء التي تلي ذلك شمالاً (سليم، 1998، ج5، 237).

ولم يحاول حمورابي الانشغال بالحرب في السنوات الأولى من حكمه، بل قضاها في الإصلاحات الداخلية لماذا؟ لتقوية وسائل الدفاع حول المدن الهامة في دولته، واستعدادا للمرحلة المرتقبة من الكفاح، وقد تريث حمورابي لمدة خمس سنين قبل أن يقوم بجولته الأولى، وذلك بعد أن أمن عرضه في بابل، ثم بعد ذلك شرع في مهاجمة منافسيه في ثلاث محاور (إسماعيل، 1997م، 39)، وبدأ تحركه الأول في عام حكمه السادس وذلك حين اتجه إلى (ايسن) واستولى عليها، وسلسلة جبال زاجروس، وفي السنة العاشرة استولى على (مالجوم)، وفي العام الحادي عشر استولى على (رابيكوم) و(سيبار)، ثم قضى الفترة التالية ولمدة عشرين عامًا، في إقامة المعابد، وتحصين المدن، ولعل حمورابي أراد من وراء انتصاراته هذه أن يحد من نشاط أعتى منافسيه (ريم سين) ذي الأصل العلامي، وأخر ملوك لارسا. (مهران، 1990م، ج 10، 222، 223).

ومن ثم أخذ حمورابي يستعد ويجهز جيشه للاصطدام العسكري المحتم مع عدوه العيلامي (ريم – سين) الذي كانت قواته ترابط على حدود مملكة بابل وقبل ذلك تمكن حمورابي منذ السنة السادسة من حكمه، من كسر الطوق الذي فرضه (ريم – سين) حول مملكة بابل، عندما استولى على ايسن وأورك[**] ورابيكو، واقتصر نفوذ (ريم – سين) على لارسا وأريدو[***] ولاجاش[****] ، وقد أراد حمورابي أن يقطع طريق اتصال (ريم – سين) بموطنه الأصلي عيلام الذي كان يزوده بالإمدادات البشرية والمادية، مما يدعم مركزه العسكري. (إسماعيل، 1997م، 40).

فقام حمورابي بمحاصرة (ريم – سين) في منطقة صغيرة التي بقيت تحت نفوذه في جنوب بلاد ما بين النهرين، وفي العام التاسع والعشرين من حكمه، حانت الفرصة لتصفية الحساب مع (ريم – سين) عندما تشكل تحالف ضد حمورابي بقيادة (ريم – سين) ضم، كوتا، أشور، أشنونا، وتقدمت قواتهم لمهاجمة بابل، ولكن حمورابي جمع جنده وتصدى لهم وانتصر عليهم، ومن بعد ذلك قام حمورابي بغزو مدينتي أور[*****] ولارسا ونقل كنوزهما إلى مدينة بابل، فهبت عيلام لنجدة (ريم – سين) ولكن حمورابي تصدى لها، وانتهى هذا الصراع بالإطاحة بريم – سين وأسره، بعد أن حكم لارسا لمدة ستين عامًا، وقد كان انتصار حمورابي على (ريم – سين) حدثًا هامًا في تاريخ بلاد الرافدين (إسماعيل، 1997م، 41).

[*******] إبراهيم عليه السلام: هو إبراهيم بن أزرين تاحور بن سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح بن ارفشخد بن سام بن نوح عليه السلام. (الملغوث، 2005م، ج1، 51).

[*] مملكة أشور: تقع بلاد أشور، في القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين، بين نهري دجلة والفرات، ممتدة على كامل حوض الموصل شمالاً وحتى الحدود الإيرانية شرقًا، ومدنها الرئيسية أشور وكالاح ونينوى، وقد تغيرت حدودها السياسية مع تغير المراحل التاريخية. (عبودي، 1991م، 91).

[**] أورك: مدينة سومرية قديمة تقع على بعد (270) كم جنوب بغداد و(27) كم شرق الفرات، اسمها الحالي الوركاء أو الورقاء، وهو استمرار لاسمها القديم. (عبودي، 1991م، 157).

[***] أريدو: مدينة سومرية قديمة في جنوب بلاد ما بين النهرين أسست هذه المدينة في الألف الخامس ق.م ظلت أهله بالسكان حتى القرن السادس ق.م وكان إلهها أنكى، والاسم الحالي لهذه المدينة هو تل (أبوشهرين). (عبودي، 1991م، 74، 75).

[****] لاجاش: مدينة سومرية تقع على بعد عشرين كلم شمال شرق (تلو) اسمها الحالي الحبة. (عبودي، 1991م، 742).

[*****] أور: مدينة في بلاد ما بين النهرين بالقرب من المصب القديم لنهر الفرات، وهي من المدن السابقة للوجود السومري في المنطقة، دخلت في عداد المدن السومرية في عهد الملك لوجال زجيسي في الألف الثالث ق.م، ووقعت بعد ذلك تحت سيطرة الجوتيين، وتلا ذلك فترة من الاستقلال، وقعت أور بعدها تحت سيطرة إيسن ولارسا وأشور تباعًا. (عبودي، 1991م، 147).

وفي السنة الخامسة والثلاثين أي بعد عامين من انتصاره الحاسم على (ريم – سين) وحلفه، التفت حمورابي لتصفية الحساب مع صديق البارحة وعدو اليوم (زمري ليم)(******) ملك ماري(*******) (سليمان، 1985، 171)، والذي كانت تربطه علاقة صداقة مع حمورابي، فقد جمعت بينهما المصلحة المشتركة إزاء المحاولات الخطيرة التي بدرت من مملكة أشنونا بمساعدة حلفائها من العلاميين، بالاستيلاء على منطقة الجزيرة العربية ولاسيما إقليم حران(********) ، لأن الاستيلاء على هذه المنطقة تعني قطع الاتصالات التجارية الحيوية على مملكة ماري ومملكة بابل فتطورت تلك الصداقة إل تعاون عسكري وثيق واستمرت إلى أن ظهرت نوايا حمورابي وطموحه على حقيقتها (باقر، 1955، ق 1، 40)، بأمر من آنو(*) وانليل(**)، فدمر حمورابي "سور ماري"، ثم هاجم المدينة وأحرق قصر ملكها زمري ليم، واستولى على المناطق التابعة لها (مهران، 1990م، ج 10، 225)، وبذلك أصبحت جميع بلاد ما بين النهرين من الجنوب إلى الشمال، بالإضافة إلى أراضي عيلام، خاضعة لنفوذ الملك البابلي حمورابي وعقب ذلك أطلق حمورابي على نفسه لقب حاكم سومر وأكاد وجهات العالم الأربع التي أهداها له المؤلهان آنو وانليل (إسماعيل، 1997م، 41).

المحور الثاني: التنظيم السياسي للدولة البابلية الأولى:

- **قوانين حمورابي:**

اشتهرت بلاد الرافدين بما عثر فيها من قوانين تعد أقدم ما عرف حتى الآن، إذ لم تصلنا أي تشريعات قانونية تسبقها في التاريخ (سليم، 1998، ج5، 361)، ولعل من أشهر قوانين بلاد الرافدين التي وصلتنا هي قوانين حمورابي فهي تعد من أشهر القوانين القديمة في منطقة الهلال الخصيب وفي جنوب غرب آسيا (القواسمي، 2004م، 91)، وقد اعتمد حمورابي في تدوين شرائعه على مجموعة من القوانين السابقة، التي كانت قائمة في الحضارات القديمة (القواسمي، 2004م، 92)، فحمورابي لم يكن أول ملك في بابل يضع القوانين، كما لم تكن تشريعاته وليدة عهدها، بل تضمنت مواد كثيرة سبقه إليها أصحاب القوانين السابقة، فأبقى بعضها على حالها، وعدل بعض المواد الأخرى، وزاد عليها مواد جديدة تتناسب مع العصر الذي صدر فيه (هبو، 1996، ج2، 161)، فمن أوائل التشريعات التي سبقت حمورابي هي (سليم، 1998، ج5، 364 - 370):

أ. تشريعات (أوركاجينا) وهو أحد ملوك أسرة لجش (2520 – 2371 ق.م) الذي يمكن أن نعتبره من أوائل المشرعين في تاريخ البشر فقد وردت بعض الإشارات من عصر فجر الأسرات ومن العهد الأكادي تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه للإدارة وإزالته للظلم في الطبقات الفقيرة، ويتضح من الإصلاحات التي اتخذها (أوركاجينا) وجود بعض التشريعات القانونية المتصلة بالنواحي الإدارية.

ب. قانون (أورنمو) فقد أشار في مقدمة قانونه إلى بعض إصلاحاته وإنجازاته ولاسيما في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، فقد كان قانون أورنمو يتألف من (31) مادة قانونية فأخذت هذه القوانين بمبدأ التعويض وليس القصاص.

ج. قانون (مملكة أشنونا) والذي عثر عليه في منطقة تل حرمل(***) قرب (بغداد) وتنسب هذه القوانين إلى أحد ملوك مملكة أشنونا البارزين وهو الملك (بلالاما)(****) ، وقد بقيت من قانون أشنونا إحدى وستون مادة، ويبدأ القانون بمقدمة قصيرة، غير واضحة، ويرجح أنها كانت تحتوي اسم الملك الذي أصدر هذه التشريعات وتاريخ إصدارها، وبعد المقدمة تأتي مواد القانون، وقد جمعت العقوبات في قانون أشنونا بين القصاص والدية.

(******) زمري ليم: أخر ملوك ماري (1782 – 1759 ق.م) أو (1730 – 1700 ق.م)، معنى اسمه (الاله ليم يحميني) وهو ابن يجدون ليم لجأ إلى حلب بعد مقتل أبيه. (عبودي، 1991م، 444).

(*******) ماري: مدينة قديمة على الفرات الأوسط بالقرب من الحدود السورية العراقية الحالية اسم موقعها اليوم (تل الحريري). (عبودي، 1991م، 763).

(********) إقليم حران: تقع مدينة حران في الجزيرة الفراتية، وقد وصف العديد من الجغرافيين والمؤرخين مدينة حران فقيل "أنها مدينة قديمة أول مدينة بنيت بعد الطوفان بمئتين وخمس وسبعين سنة". (أحمد، محسن، 2008م، ع 49، 204، 205).

(*) آنو: هو إله السماء، يقع ترتيبه من حيث الأهمية في قمة الآلهة السومرية الرئيسية وكذلك البابلية، وقد نعت بابي الآلهة وملك الآلهة. (سليم، 1998، ج5، 400).

(**) انليل: يمثل انليل الهواء، ويأتي في المرتبة الثانية بعد المعبود آنو إله السماء ويعني اسمه (أن – ليل) السيد العاصفة سيد ما بين السماء والأرض بلا منازع، وقد لقب انليل بالعديد من الألقاب، فقد تلقب مثل آنو بأبي الآلهة وقد أطلق عليه هذا اللقب في نص من عهد (انتمينا) حاكم لجش وكذلك في قصيدة (أيا) و(أتارها سيبس)، ولقبته النصوص المسمارية بسيد جميع البلدان وبابي جميع الآلهة وبالجبل الكبير وبالإله الذي يقرر المصائر والإله الذي لا رجعة لقرارته وبصاحب العينين البراقتين وبالإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر. (سليم، 1998، ج5، 404، 405).

(***) تل حرمل: وهو الاسم الحالي لمدينة شديوم الأكدية. (عبودي، 1991م، 350).

(****) بلالاما: ملك أشنونا نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني ق.م عثر في تل أسمر، شرقي دجلة على قصر لهذا الملك يحتوي على معبدين، كما عثر في تل حرمل على تشريع سابق لتشريع حمورابي، يعرف بتشريع أشنونا، وينسب إلى هذا الملك دون جزم قاطع بصحة هذه النسبة. (عبودي، 1991م، 237).

د. قانون (لبت عشتار) [*****] ينسب هذا القانون إلى الملك (لبت عشتار) (1934 – 1924 ق.م) خامس ملوك أسرة ايسين، ويذكر لبت عشتار في المقدمة أن الآلهة قد منحته حكم بلاد سومر وأكاد ليوطد الأمن والرخاء لأهلها، وهو من أجل ذلك سن قوانينه التي حررت أبناء سومر وأكاد من العبودية التي فرضت عليهم.

إضافة إلى هذه القوانين هناك أيضا قوانين أخرى مثل (القواسمي، 2004م، 92):

أ. القوانين السومرية القديمة في زمن أنا أتيشو.

ب. قوانين مدينة الوركاء[*].

ج. جمدت نصر في الربع الأول من الألف الثالثة ق.م.

د. القوانين الأكادية.

وقد جمع حمورابي هذه الشرائع في قوانين منظمة دونها على مسلة كبيرة (الخنون، 2000م، 38)، وقد عثر منقبوا الآثار الفرنسيون في ديسمبر من عام (1901م) على ثلاث ألواح كبيرة من حجر الديورنت في مدينة سوسا عاصمة الدولة العلامية وبعد أن أعيد لصق الألواح الثلاثة ببعضها تبين أنها تشكل في مجموعها مسلة حمورابي، وهي بطول (2.25) متر وقريبة من الشكل المخروطي (كلينكل، 1990م، 182)، ويصور النقش البارز في أعلى المسلة (شمس) إله العدالة وهو يهب حمورابي عهدته، ويجلس الإله على العرش ويلبس خوذة ذات قرون متعددة تشير إلى ألهيته، وأمامه يقف حمورابي، وقد رفع يده اليمنى وبان على وجهة موقف التوقير، ويحمل الإله في يده اليمنى صولجانا وخاتما هما رمز العدالة، وهو يبسطها أمام الملك (ساكز، 2009م، 153).

وسؤالنا هنا إلى ماذا كان يهدف حمورابي من خلال تصوير نفسه أمام الإله شمس؟ كان هدفه من ذلك هو أن يجعل لهذه القوانين قدسية وشرعية أكثر وأن يحترم الشعب تلك القوانين، وقد غطت الكتابة كل ما تبقى من المسلة من كافة جوانبها، فقد كانت الكتابة مدونة بالأسلوب القديم على شكل أسطر مرتبة تحت بعضها ومفصولة بخطوط عمودية باتجاه اليسار، وهذا الأسلوب من الكتابة لا يستخدم إلا على التماثيل والأنصاب الرسمية في حين أن العادة في التدوينات اليومية أن تتجه الكتابة من اليسار إلى اليمين على شكل أسطر أفقية (كلينكل، 1990م، 182).

وتتألف شريعة حمورابي من ثلاث أقسام رئيسية وهي المقدمة والمواد القانونية ثم الخاتمة، ولقد أشار في المقدمة إلى ألقابه وأعماله، وأخذ الأمر من مؤلهه بأن يرشد الناس إلى الطريق المستقيم وأن يحق الحق والعدالة، وأن يدونها بلغة البلاد، وبعد المقدمة تأتي المواد القانونية والتي تبلغ (282) مادة، وقد تناولت هذه المواد أمور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسؤولياتهم وعقود الزراعة وشروط القروض والأحوال الشخصية بما تتضمنه من تقاليد الزواج والطلاق والمواريث والقصاص والتعويضات وأجور أصحاب المهن ومسؤولياتهم، وتضمنت في ثناياتها أحكامًا راقية يتقبلها المنطق في كل عصر، وأحكامًا أخرى يصعب قبولها إلا بمنطق الحياة في عصرها (سليم، 1998، ج5، 374).

وأما الخاتمة فيعرب حمورابي في مظاهر تقواه الأخرى، مدعيًا أنه الراعي المخلص لشعبه بما يتوافق مع إرادة الآلهة الكبار، حتى يعيشوا حياتهم بسلام وأمان، وقد قسمت هذه القوانين إلى ثلاث مجموعات: مجموعة تتضمن المواد (1 – 5) والتي تتعلق بأمور القضاء والتقاضي وما يشبه أصول المرافعات، ومجموعة ثانية تتألف من البنود (6 – 126) وتتضمن قانون الأموال أو المعاملات، ثم مجموعة ثالثة تتكون من البنود أو المواد (127 – 282) وتتضمن قوانين الأسرة أو الأحوال الشخصية وقد قسم هذا القانون المجتمع في بلاد الرافدين إلى ثلاث طبقات (عبد الحليم، 1996م، 192):

أ. الطبقة الأولى وهي طبقة الأوليم والتي تتكون من الأحرار أو السادة.

ب. الطبقة الثانية وهي طبقة الموشكينوم وهم طبقة الأحرار من عامة الشعب.

ج. الطبقة الثالثة فهي تتألف من الأرقاء أو العبيد وكانت لهم بعض الحقوق كما كانت هناك بعض الأحكام يمكن لهم بموجبها وفي ظروف معينة أن يحصلوا على حريتهم.

بعض القوانين الوضعية لحمورابي على سبيل المثال لا الحصر (مهران، 1990م، ج 10، 254، 255):

1. التنظيم العسكري:

- مادة (28) إذا كان الجندي الخاص أو المبعوث الذي أسر وهو في الخدمة العامة للملك له ابن يستطيع أن يرعى التزاماته الإقطاعية، فإن الحقل والبساتين يعطيان له، ليرعى الالتزامات الإقطاعية لأبيه.
- مادة (30) إذا سلم جندي خاص أو مبعوث حقله وبستانه وبيته بسبب الالتزام الإقطاعي ثم غاب، وبعد رحيله أخذ آخر حقله وبستانه وبيته، وأدى الالتزامات الإقطاعية مدى ثلاث سنوات، ثم عاد وطالب بحقله وببستانه وبيته، فلا يعطي له، أنها تصبح من حق من أخذها ورعى التزاماتها الإقطاعية.

[*****] لبت عشتار: خامس ملوك سلالة ايسن (1934 – 1924 ق.م) ينسب إلى هذا الملك أول تشريع مدون معروف، وهو عبارة عن مجموعة من الأحكام، وقد فكت رموزه جزئيًا. (عبودي، 1991م، 740).

[*] مدينة الوركاء: الاسم الحالي لمدينة أورك السومرية، وقد ترد اللفظة كذلك بصورة (الورقاء). (عبودي، 1991م، 900).

- مادة (31) أما إذا غاب لمدة عام واحد فقط، ثم عاد، يرد له بيته وبستانه ويرعى التزاماته الإقطاعية.
- مادة (35) إذا اشترى سيد من جندي ماشية أو غنمًا، كان الملك قد أعطاها للجندي فإنه يدفع ماله غرامة.
- مادة (36) حقل الجندي أو بستانه أو متعلقات بيته هو أو المبعوث أو الإقطاعي لاتباع.

2. التنظيم الاجتماعي:

- مادة (135) إذا أسر رجل ولم يكن في بيته وسيلة عيش وذهبت امرأته قبل عودته إلى بيت رجل آخر وأنجبت أطفالاً ثم عاد زوجها بعد ذلك ووصل إلى مستوطنته، فعلى هذه المرأة أن تعود إلى زوجها الأول، وأما الأطفال فيتبعون أباهم (سليمان، 1985، 210).
- مادة (136) إذا تخلى رجل عن مستوطنته وغادرها، ثم ذهبت زوجته بعد ذلك إلى بيت رجل آخر، إذا عاد هذا الرجل، وأراد أن يستعيد امرأته، فعليها ألا تعود إليه، لأنه حقر مستوطنته وهجرها (سليمان، 1985، 210).
- مادة (138) إذا أراد سيد أن يطلق زوجته التي لم تنجب منه أطفالاً، فعليه أن يدفع لها كل تكاليف زواجها، وأن يعوضها عن المهر (البائنة) التي جاءت بها من بيت أبيها، ثم بعد ذلك يطلقها (مهران، 1990م، ج 10، 267).
- مادة (148) إذا تزوج سيد امرأة وأصيبت بمرض، وأراد أن يتزوج مرة ثانية، فمن حقه أن يتزوج، ولكن لا يطلق زوجته التي أصيبت بالمرض، إنها تسكن في البيت الذي بناه، وعليه أن يقوم بإعالتها طالما كانت على قيد الحياة (مهران، 1990م، ج 10، 268).
- مادة (149) إذا رفضت هذه المرأة أن تعيش في بيت زوجها يرد لها بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها وعندئذ لها أن تترك البيت (مهران، 1990م، ج 10، 268).

3. التنظيم التجاري:

- مادة (89) إذا لم يجد سيد ما يسدد به الدين، وعنده حبوب، يأخذ التاجر حبوبًا، مقابل ماله مع فائدة تنفق بما يحدده الملك من سعر (مهران، 1990م، ج 10، 260).
- مادة (94) إذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالاً، وعند التسليم دفع المال بالوزن الصغير والحبوب بالمكيال الصغير، ولكنه استرد ذلك بالوزن الكبير والمكيال الكبير، فإنه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه (مهران، 1990م، ج 10، 261).
- مادة (95) إذا دين رجل حبوبا أو فضة بفائدة، ولم يكن المراقب موجودًا أثناء ذلك، فإنه يخسر كل ما دينه (سليمان، 1985، 205).
- مادة (96) إذا استدان رجل من تاجر حبوبا أو فضة ولم يستطع تسديدها فضة أو حبوبًا وإنما حاجيات أخرى بدلاً منها، فإنه يستطيع أن يسلم التاجر كل ما يملك أمام الشهود، عندها لا يجوز للتاجر أن يرفض ذلك، فعليه أن يقبل به (سليمان، 1985، 205).
- مادة (98) إذا سلم سيد مالاً لآخر لعمل شركة بينهما، فإنهما يقسمان مناصفة الربح والخسارة أمام الإله (مهران، 1990م، ج 10، 261).

4. التنظيم الزراعي:

- مادة (42) إذا استأجر سيد حقلاً للزراعة، ولم ينتج منه حبوبًا، فإنه هذا يدل على أنه لم يقم بعمل في الحقل، ومن ثم فعليه أن يعطي مالك الحقل حبوبًا تقدر على أساس إنتاج الأرض المجاورة (مهران، 1990م، ج 10، 256).
- مادة (43) إذا أهمل الحقل ولم يقم بزراعته فعليه أن يدفع لمالك الحقل حبوبًا تقدر على أساس إنتاج الحقل المجاور، وأن يقوم بحراثة الحقل الذي أهمله، وأن يعيده إلى صاحبه (مهران، 1990م، ج 10، 256).
- مادة (45) إذا أجر مالك حقله لمستأجر وتسلم إيجار حقله، ثم أغرق (أدد) (إله الأمطار والرعد والفيضان) فيما بعد الحقل أو اجتاحه فيضان، فإن الخسارة إنما تقع على المستأجر (مهران، 1990م، ج 10، 256).
- مادة (46) أما إذا لم يكن قد تسلم الإيجار سواء كان الإيجار في مقابل نصف أو ثلث المحصول فإن المستأجر والمالك يقتسمان محصول الحقل من الحبوب (مهران، 1990م، ج 10، 265).
- مادة (50) إذا رهن حقلاً مزروعًا بالحبوب أو حقلاً أستنبت به السمسم، فإن صاحب الحقل يأخذ الحبوب أو السمسم الذي أنتجه الحقل، ثم يرد المال والفائدة إلى التاجر (مهران، 1990م، ج 10، 257).

السؤال هنا ما الأسباب التي دعت حمورابي لإصدار هذه القوانين؟

قام حمورابي بإصـــدار هذه القوانين وذلك للحد من نفوذ الكهنة الذين كانوا يتحكمون في شـــؤون الدولة وفي تعيين الملوك وكذلك لتنظيم الدولة البابلية داخليًا، فقد كان ســـابقًا اختيار ولي العهد يحتاج غلى موافقة الآلهة الأمر الذي يعني في

الواقع قرار الكهنة فمن خلال الكهنة تبين الآلهة رغبتها في شخص ما يكون وليًا للعهد سواء بالأحلام أو من خلال الفؤول أو بعلامات سماوية أو أرضية (سليم، 1998، ج5، 349)، كما كان المعبد يسيطر على قسط كبير من الحياة الاقتصادية، فكانت للمعابد أملاكًا يؤجرها وأخرى يقوم باستثجارها، وكانت له مصانعه ومخازنه، وعلى ذلك فقد كان للكهنة نفوذهم الديني والدنيوي (سليم، 1998، ج5، 334).

كما كان الكاهن في بداية تاريخ الرافدين يجلس على عرش فخم يصنع خصيصًا له، ويبدو أن هذا العرش لا يختلف عن العرش الذي يجلس عليه الحاكم خلال الألف الرابع والنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وذلك عندما كان الحكم بيد السلطة الدينية (سليم، 1998، ج5، 427)، إلا أنه في فترة حكم حمورابي أصبح يشرف أشرافًا مباشرًا على رجال الدين، كما كان له السلطان الأول على القضاء، فقد كان الخطر يهدد بعض المخصصات الملكية في عهد السومريين عن طريق رجال الدين، وقد زال هذا الخطر على أيام حمورابي بسبب إشرافه المباشر وقوانينه الصريحة الحاسمة، ومن أثر هذا الإشراف أن وضعت أملاك المعابد تحت رعايته المباشرة، بما فيها من أنعام ومراع، وبذلك يكون حمورابي قد جمع السلطة السياسية والدينية بعد أن كانت في يد رجال الدين (مهران، 1990م، ج 10، 235).

- **التنظيم الداخلي للدولة:**

اتصف التنظيم الإداري في الدولة البابلية الأولى بالتطور والتقدم الحضاري، وذلك يرجع إلى عدة أسباب منها اتساع رقعة الأقاليم التي فتحتها الدولة البابلية، كذلك الكثافة السكانية في كل من هذه الأقاليم، والتي أدت إلى تشعب سبل الحياة اليومية، فكان لذلك أثره في تطور عمل الإدارة، وتنظيم أساليبها لمواجهة الضروريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى ذلك النشاط الإداري المميز للملك حمورابي، ففضلا على كونه فاتحا ناجحا، كان أيضا إداريا بارزًا (العبودي، 2001م، 37)، فقد اتبع حمورابي في الناحية الإدارية نظامًا مركزيًا، فقام بربط جميع ولاته به وبعاصمته بابل، وحد من صلاحيات الكهنة، فلم نعد نسمع إبان عهده عن محاكم الكهنة، الأمر الذي أدى إلى زوال منصب (الأنسي) الذي كان يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية، وأصبح كل موظف يستمد أوامره من موظف أخر بعد الملك (مهران، 1990م، ج 10، 228).

فقد حصر حمورابي السلطة في شخصه، وجعل عماله في البلاد يستمدون أوامرهم منه، فكان حريصا على أن تصل الأوامر منه شخصيا إلى الحكومات المحلية وأن تصله الرسائل مباشرة ليقوم بحل ما يوجه هذه المناطق من مشكلات (سليم، 1998، ج5، 240)، كما قام بإنشاء عدد من الإدارات كالقلم والأرشيف والديوان، وخصص العديد من الوظائف في خدمة الملك وعين مساعدين له في إدارة الحكم والنيابة عنه في جميع مناطق النفوذ، كما عين لكل من المساعدين العديد من الأتباع وبذلك أصبحت الدولة منظمة تحتكم إلى القانون وليس إلى رجال الدين (القواسمي، 2004م، 89).

وقد كان النظام الإداري في عهد حمورابي يقوم على أساسين هما الإدارة المركزية والإدارة الإقليمية والمحلية (العبودي، 2001م، 38، 39):

1. **الإدارة المركزية:** وهي تشمل الملك وحاشيته من الوزراء المقربين، وتكون اختصاصات هذه الإدارة متعددة، فهي توضح لنا بأن التركيز في الإدارة وصل ذروته، فقد حصر حمورابي السلطة في شخصه وتولى النظر في جميع القضايا كبيرها وصغيرها، فحمورابي باعتباره القاضي الأعلى، كان يأمر بإجراء التحقيقات في الشكاوى المقدمة من الأفراد ولاسيما تلك الخاصة بتعسف الموظفين وإساءة استعمالهم لسلطاتهم، وكان يعاقب المقصرين منهم بالإنذار والتوبيخ.
2. **الإدارة الإقليمية والمحلية:** ففي عهده كان يضع حكام المقاطعات على رأس كل الشعوب الخاضعة للإمبراطورية البابلية، وقد كانوا في بعض الأحيان عبارة عن الملوك المنهزمين الذين انضموا إلى الحكم الجديد، ولكن في أغلب الأوقات كانوا موظفين يعينهم حمورابي وينقلهم حسب مشيئته، وقد كان يراقب هؤلاء الحكام والموظفين والمرؤوسين عن قرب.

وقد ضم الجهاز الإداري لحمورابي العديد من الوظائف فكان هناك مدير مجلس المسنين (رابيانوم) والذي كان من أعلى الوظائف التابعة للملك، وحكام المقاطعات، ومسؤولو الضرائب، وكذلك مسؤولو المدن، والمشرفون على الأملاك الملكية، ومساعدوهم، والمسؤولون عن عبيد الدولة، ومسؤولو الشرطة، ورسول الملك في الأمور الخاصة، ومدير الرسوم إضافة إلى ذلك مسؤول التجارة (سليم، 1998، ج5، 356، 357).

ولكي يضمن حمورابي سرعة الأداء الإداري بين العاصمة وباقي المناطق، اهتم بربط البلاد بعضها ببعض من خلال شبكة من المواصلات، ومن هنا كان اهتمامه بنظام البريد السريع لماذا؟ وذلك بغية إيصال أوامره إلى كافة أنحاء البلاد بالسرعة المأمولة، فاستخدم الرجال العدائين حيث كانت الطرق تقسم إلى عدة مراحل يقف عندها هؤلاء العداؤون لإيصال ما يتسلمون بالسرعة إلى ساعي المرحلة التالية وهكذا، أما فيما يخص الناحية الاقتصادية، فقد أولى حمورابي اهتماماً كبيرًا بزيادة الموارد الاقتصادية لدولته، فمن ناحية الزراعة قام حمورابي بشق نهر صغير يبدأ من الفرات أسفل كيش يمتد حتى الخليج العربي، وذلك لإمداد المناطق التي يمر بها وهي نيبور وأريدو وأور ولارسا وأروك وأيسين بمورد مائي دائم، إضافة إلى ذلك فقد كان شديد الاهتمام بتطهير الترع والقنوات والمجاري المائية والحفاظ عليها واستصلاح الأراضي (سليم، 1998، ج5، 240).

أما فيما يخص التجارة فقد ازدهرت في عهده، وأصبحت مصدراً للثراء فكان لها أثر كبير على حياة البابليين (مهران، 1990م، ج 10، 233، 234)، وعمل حمورابي على تنمية التجارة مع أقاليم البحر المتوسط ليستورد منها الحجر والمعادن وأنواع الأخشاب التي لا تتوفر في السهول المنخفضة لدجلة والفرات (سليم، 1990م، 101)، وقد أدى النشاط التجاري لبابل في عصر أسرتها الأولى إلى نمو ملحوظ في حجم المدن الكبرى التي لم تعد مجرد مراكز للتوزيع، وإنما بدأت تتحول إلى أفاق أبعد فقد فتحت غزوات حمورابي من ناحية الغرب المجال لأسواق جديدة (مهران، 1990م، ج 10، 233).

أما فيما يخص القضاء فقد كان الملك حمورابي بمثابة القاضي الأكبر في الدولة أي أنه رئيس مجلس القضاة الأعلى، الذي كان يتألف من (الشيلاك – ناكو) وهم (الرابيانو) أي القضاة)، وكان مقر مجلسهم في القصر (سليمان، 1985، 247)، فقد كانت الفكرة السائدة في بلاد الرافدين إلى أنه كان قضاء دينيا يجري من قبل الكهنة في المعابد، فكثير من الوثائق القانونية تشير إلى أن الأعمال القضائية كانت تجري عند باب المعبد إلا أن هذا الرأي لم يعد مسلمًا به الآن، فقد كان القضاء في بادئ الأمر قضاء دينيا يقوم به الكهنة في المعابد باعتبار هؤلاء الكهنة كانوا من الطبقة المثقفة في المجتمعات القديمة، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى قضاة مدنيون، وهذا التطور بدأ في فترة حكم سابقة لعهد حمورابي، ولكن في عهد حمورابي كانت نقطة تحول بالنسبة له، ففي عهود الملوك الأوائل من الدولة البابلية القديمة لا نجد قضاة المعبد، وفي عهود خلفاء حمورابي لم يعد هناك سوى القضاة المدينون (العبودي، 2001م، 44).

وفي فترة حكم حمورابي نجد أن القضاة المدنيين جنبًا إلى جنب مع قضاة المعبد، وهذا يدل على أن حمورابي كان له الدور الرئيسي في نقل القضاء من قضاء المعابد إلى قضاة مدنيين، فحل القضاء المدني محل القضاء الديني حتى أصبح القضاء المدني هو الغالب (العبودي، 2001م، 44)، وبذلك تكون سلطة المعبد قد انحسرت في السلطة القضائية وتقلصت لدرجة أن أصبح دور الكهنة مقتصرًا فقط على القيام بدور الشهود عند قسم المتخاصمين أو أخذهم اليمين أمام تمثال الآلة الأكبر كعنصر إثبات في قضية خلاف قائم، ويمكن اعتبار ذلك مثالاً حيًا على الفصل بين المدنية والدينية إضافة إلى ذلك كان يوجد هناك مراقبون مهمتهم الإشراف على حسن سير أمور الدولة، فكونوا جهازًا أشبه ما يكون بجهاز الشرطة في الوقت الحاضر، وكان عليهم السهر على احترام الناس للقوانين، وعدم الإخلال بالأمن والحيلولة دون إلحاق الضرر بسلامة بعضهم البعض (سليمان، 1985، 247).

أما الجيش فقد كان الملك هو القائد العام للجيش وكان كثيرًا ما يقود بنفسه في المعارك وخاصة الحاسمة منها، كما كان يسند إلى بعض القادة الأشداء لديه قيادة العمليات العسكرية (سليمان، 1985، 247).

وبذلك تكون بابل قد وصلت في أواخر عهد حمورابي إلى قمة المجد، فقد كانت فترة حكمه والتي بلغت اثنين وأربعين عامًا (1792 – 1750 ق.م) تمثل أزهى عصور بلاد الرافدين، وقد خلفه على العرش ابنه "سامو ايلوما" (سليم، 1990م، 102).

الخاتمة: مما سبق نستنتج ما يلي:

1. أن حمورابي لم يكن أول من وضع القوانين المنظمة للدولة، وإنما نظم القوانين وجعلها في مسلة من عدة قوانين سابقة، وكان له الفضل في تنظيم الدولة تحت قوانين وضعية مشرعة من بني البشر وبذلك يكون قد أنهي دور الكهنة ورجال الدين في خداعهم للناس من أن القوانين تأتي من الآلهة حتى يتسنى لهم السيطرة والإذعان من البشر لهم.
2. اكتفى حمورابي في السنوات الأولى من حكمه بالقيام بالإصلاحات الداخلية.
3. عندما تولى حمورابي العرش كانت بابل صغيرة فقد كانت حدودها تمتد من سيبار (الفلوجة) إلى ماراد (الديوانية).
4. خاض حمورابي في السنة السادسة من حكمه عدة حروب مع حكام المدن المجاورة وانتصر عليهم فأصبحت من بعد ذلك جميع بلاد الرافدين من الجنوب إلى الشمال وأراضي عيلام خاضعة لنفوذه وتحت سلطته.
5. حد حمورابي من نفوذ رجال الدين الذين كانوا يتحكمون في شؤون الدولة الداخلية وفي تعيين الحكام.
6. أخضع حمورابي رجال الدين لأحكام القانون المدني فقد كان القضاء والمحاكم في السابق تحت سيطرة رجال الدين والمعبد.
7. اهتم حمورابي بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للدولة البابلية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.
- التوراة (العهد القديم).
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، **قصص الأنبياء**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط3، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1988م.
- النيسابوري، أبي الحسن مسلم بن الحجاج (ت206 – 261ه)، **صحيح مسلم**، ج1، ط1، دار إحياء الكتب العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- اليعقوبي البغدادي، أحمد بن إسحاق جعفر بن وهب بن واضح (ت 696ه)، **تاريخ اليعقوبي**، ج2،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

ثانيًا: المراجع العربية:

- أبو فرحات، هدى، (1999م)، **قصة وتاريخ الحضارات العربية في العراق والأردن**، د.م.
- أبوخليل، شوقي، (2003م)، **الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، د.م.
- أحمد، مصطفى أحمد، عثمان، حسام الدين إبراهيم، (2004م)، **الموسوعة الجغرافية**، ج2، ط1، دار العلوم، د.م.
- اسماعيل، حلمي محروس، (1997م)، **الشرق العربي القديم وحضارته**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- باقر، طه، (1955م)، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ق 1، تاريخ العراق القديم، ط2، دار المعلمين العالية، د.م.
- باقر، طه، (2011م)، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ط1، دار الوراق، بغداد، العراق.
- باقر، طه، (2012م)، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ط2، دار الوراق، د.م.
- بدير، شافية، عبد الحميد، نور جلال، (د.ت)، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، د.ط، د.م.
- الجزيري، علي، (2017م)، **الكرد وكردستان**، منشورات الأكاديمية الكردية، أربيل، العراق.
- الجنابي، طلب الصبار، (2013م)، **إمارة إنطاكية دراسة في علاقاتها السياسية بالقوى الإسلامية**، د.ط، دار نينوى، د.م.
- حسين، مزاحم محمود، سليمان، عامر، (2000م)، **نمرود الكنوز الذهبية**، دار الكتب والوثائق، بغداد، العراق.
- الحسيني، أحمد خالد، (2015م)، **حمورابي**، ط1، د.ن، د.م.
- الخنون، عبد الحكيم، (1992م)، **التشريعات البابلية**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا.
- دلو، برهان الدين، (1989م)، **حضارة مصر والعراق**، ط1، دار الفارابي، بيروت.
- رشيد، عبد الوهاب حميد، (2004م)، **حضارة وادي الرافدين**، ط1، دار المدى، بيروت، لبنان.
- زكي بك، أحمد، (1899م)، **قاموس الجغرافية القديمة**، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر.
- سليم، أحمد أمين، (1990م)، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت.
- سليم، أحمد أمين، (1998م)، **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**، ج5، د.ط، دار المعرفة الجامعية، د.م.
- سليمان، توفيق، (1982م)، **دراسات في حضارات غرب آسية القديمة**، ط1، دار دمشق، سوريا.
- شاكر، محمد، (2005م)، **موسوعة تاريخ الخليج العربي**، د.ط، دار أسامة، عمان، الأردن.
- شعيب، شوقي، (1996م)، **قلعة حلب**، ط1، دار القلم العربي، حلب، سوريا.
- صالح، حسن عبد القادر، (د.ت)، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي**، مج 4، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، السعودية.
- عبد الحليم، نبيلة محمد، (1996م)، **معالم العصر التاريخي في العراق القديم**، د.ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.
- العبودي، عباس، (2001م)، **شريعة حمورابي**، ط1، الدار العلمية الدولية، عمان، الأردن.
- عيسى، محمد علي، (2012م)، **الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم**، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.
- القواسمي، إبراهيم عبد الرزاق، (2004م)، **دراسات في تاريخ المشرق العربي القديم منذ أقدم العصور حتى 539 ق.م**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي.
- المغلوث، سامي عبد الله، (2005م)، **أطلس تاريخ الأنبياء والرسل**، ج1، ط6، مكتبة العبيكان، الرياض.
- مهران، محمد بيومي، (1990م)، **تاريخ العراق القديم**، ج10، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الناصري، سيد أحمد، (د.ت)، **الإغريق تاريخهم وحضارتهم**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة.
- هبو، أحمد أرحيم، (1996م)، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت.

ثالثًا: المراجع المترجمة:

- أنس، جميس، (د.ت)، **علم اللاهوت النظامي**، ت: منيس عبد النور، د.ط، الكنيسة الإنجيلية بقصر للدوبارة، مصر، القاهرة.
- روتن، مارغيت، (1984م)، **تاريخ بابل**، ت: زينب عازار، ميشال أبي فاضل، ط2، دار منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا.
- ساكز، ه،و،ف، (2009م)، **البابليون**، ت: سعيد الغانمي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، د.م.
- عبودي، هنري، س، (1991م)، **معجم الحضارات السامية**، ط2، دار جروس بروس، طرابلس، لبنان.
- كلينكل، هور نست، (1990م)، **حمورابي البابلي وعصره**، ت: محمد وحيد خياطة، ط1، دار المنارة، سوريا.
- لويد، سيتون، (1993م)، **آثار الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي**، ت: محمد طلب، ط1، دار دمشق، سوريا.
- مكاي، دروني، (1952م)، **مدن العراق القديمة**، ت: وسف يعقوب مسكوني، ط2، مطبعة شفيق، بغداد، العراق.

رابعًا: المجلات والرسائل العلمية:

- أحمد، عبد الجبار، محسن، نادية، (2008م)، **الدور السياسي لمدينة حران في العصر العباس**، ع 49، أدب الرافدين.
- توفيق، عماد طارق، (2014م)، **القبائل الأمورية ودورها التاريخي في بلاد الرافدين وبلاد الشام**، ع 1، مجلة التراث العلمي العربي.

Hammurabi and the Political System of the First Babylonia Country (1792 – 1750 BC)

Dr. Abdul Hamid Ahmed Emhemed Abousalla
a.abousalla@edu.misuratau.edu.ly

Nema Al-Amjad Mohamed Al-Zaridi
Alnmh183@gmail.com

History Department – Faculty of Education – Misurata University

Article information

Key words
Hammurabi. political life in Mesopotamia. Hammurabi rules. life changes under Hammurabi rules.

Received **15 11 2024**,
Accepted **30 11 2024**,
Available online **02 12 2024**

Abstract

The Babylonia ruled by Hammurabi for forty-two years was considered to be one the most important countries through Iraqi era. Of course that event happened when Hammurabi became its real king and he established his own law. That country became strong because of its army and good people solidarity under Hammurabi rules which were taken from the Gods which people worship end in Mesopotamia that time.